Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أدبه وأسلوبه :

اختلف الباحثون في أسلوب الجاحظ: أمعنوي هو أم لفظي؟ فمن نظر إلى كتبه العلمية عده من أنصار «المعنى»، ومن نظر في رسائله الأدبية عده من أنصار «اللفظ» والواقع أن الجاحظ ـ وهو العالم الأديب ـ كان يصطنع في كتابته الأسلوبين: الأدبي والعلمي؛ غير أنه في كتابته العلمية كان يمزج أسلوبه برحيق الأدب؛ ليزيل جفافه، ويخفف من حدته.

وإذ كنا في معرض الحديث عن بلاغة الجاحظ، لا عن علمه فلا يعنينا سوى طريقته الأدبية التي أشرنا إليها فيما سلف عند الحديث على مدرسته الفنية»[1] التي ورثت مدرسة أستاذه عبد الحميد واصطنعت أسلوبه القائم على «الترسل الصناعي» الذي يجمع بين السجع أو الازدواج والإطناب؛ غير أن الجاحظ ـ لغزارة علمه، وإتصاله الوثيق بالفلسفة اليونانية ـ قد طور أسلوبها، ونقله من حال إلى حال، وإن ظلت جذوره تمتح من مدرسة عبد الحميد... فإلى أي حد كان هذا التطوير؟ وما مظاهره؟

جمع الجاحظ ـ في أسلوبه ـ بين ما ورثه عن أسلافه من خصائص كالسجع والازدواج والإطناب، وبين ما أملت عليه مواهبه؛ من ميله إلى التحليل والتعليل، والاستطراد والاستقصاء والمراوحة بين الجد والهزل والواقعية الطبيعية التي لا تحفل بلوم اللائمين...

-١-

كان الجاحظ في كتابته يرد الموضوع إلى مختلف عناصره، ليلم به من جميع أطرافه... فقد أملت عليه الفلسفة اليونانية التي تمرس بها، أن يحلل ويعلل، ويفترض ويستدل، فلا تراه يرسل قولاً على عواهنه، ولا يذكر قضية من غير دليل.. استمع إليه يقول في المفاضلة بين أبي بكر وعلي.

(فإن احتج محتج لعلي بالمبيت على الفراش، فبين الغار والفراش فرق

---

(١) أنظر ص ١٥٢ وما بعدها